المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:08، العدد:02 (2024)، ص59-70

دور الزاوية المختارية الرحمانية في المقاومة الشعبية بمنطقة أولاد جلال

The role of the Rahmaniya Mokhtariya Zawiya in the popular resistance in the Ouled Jellal region

سليمان حليس
مخبر الدراسات التاريخية والحضارية للأوراس والصحراء الشرقية عبر العصور
جامعة بسكرة (الجزائر)
Slimane.helis@univ-biskra.dz

معلومات المقال
تاريخ الارسال: 2024/07/30
تاريخ القبول: 2024/09/24
الكلمات المفتاحية:
✓ الزاوية المختارية
✓ الرحمانية
✓ المختار الجلالي
✓ أولاد جلال

الملخص:
تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعريف بالدور الفعال الذي أدته الزاوية المختارية الرحمانية في المقاومة الشعبية بأولاد جلال ضد الاستعمار الفرنسي. وخلصت هذه الدراسة إلى التأكيد على أن شيخ الزاوية المختارية تمكن بفضل مكانته الدينية من استنهاض همم أبناء منطقة أولاد جلال وضواحيها، وحثهم على الجهاد في سبيل الله والوطن، وهذا بالاستعانة بأتباع الزاوية ومريديها، فشارك جميع سكان المنطقة في هذه الانتفاضة. وتعتبر مقاومة أولاد جلال على الرغم من بساطة السلاح وقلة العدد أيقونة لتضحية وكفاح الشعب الجزائري ضد المحتل الفرنسي، ومحطة هامة في مسار المقاومات الشعبية الجزائرية خلال القرن التاسع عشر ميلادي.

Article info
Received: 30/07/2024
Accepted: 24/09/2024
Key words:
✓ Al-Mokhtariya Zawiya
✓ Al-Rahmaniya
✓ Al-Mokhtar Al-Jellali
✓ Ouled Jellal

Abstract:
This research paper aims to identify the effective role played by the Mokhtariya Rahmaniya Zawiya in the popular resistance in Ouled Jellal against French colonialism. This study concluded by confirming that the Sheikh of the Mokhtariya Zawiya was able, thanks to his religious status, to mobilize the people of the Ouled Jellal region and its suburbs, and urge them to jihad for the sake of God and the homeland, and this was done by enlisting the help of the followers and disciples of the Zawiya, so all the residents of the region participated in this uprising .Despite the simplicity of the weapons and the small number, the resistance of the Ouled Jellal is considered an icon of the sacrifice and struggle of the Algerian people against the French occupier, and an important station in the path of Algerian popular resistance during the nineteenth century AD.

مقدمة

كان لوقوع الجزائر تحت سطوة الاحتلال الفرنسي بالغ الأثر في نفوس أبنائها حيث أبى هؤلاء الخضوع لهذا المعتدي الذي انتهك حرمة الوطن والدين، وآثروا مواجهته والدفاع عن أرضهم، فنودي للجهاد واندلعت المقاومات الشعبية المسلحة في كل أنحاء البلاد. ولكون كفاح الشعب الجزائري نابع من الوازع الديني الداعي للجهاد في سبيل الله والذود عن الوطن واسترجاع الحرية ومحاربة العبودية، فإن المقاومة بالنسبة لهم لا ترتبط بالأشخاص بل تستمر إلى غاية تحقيق المراد، ولهذا نجد خلفاء رموز المقاومة وأتباعهم حملوا لواء الجهاد من بعدهم في مختلف ربوع الوطن.

ولم تكن منطقة أولاد جلال بالزاب الغربي بمنأى عن ذلك، فقد كانت شوكة في حلق المستدمر الفرنسي وأربكت جيوشه وأخرت تقدمه في الناحية الغربية من إقليم الزاب، حيث شهدت المنطقة انتفاضة كبرى أوقعت خسائر كبيرة في صفوف الجيش الفرنسي، قادها شيخ الزاوية الرحمانية المختار بن عبد الرحمان الجلالي، وساهمت فيها كل الفئات من أهالي واحتي أولاد جلال وسيدي خالد. وعليه نطرح الإشكالية التالية: **فيم تتمثل جهود الزاوية المختارية الرحمانية في المقاومة الشعبية بمنطقة أولاد جلال؟**

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى إعطاء صورة واضحة المعالم بخصوص المساهمة الجوهرية للزاوية المختارية الرحمانية بقيادة شيخها المختار الجلالي في المقاومة الشعبية بمنطقة أولاد جلال، هذه الأخيرة التي تعد ملحمة خالدة في مسيرة مقاومة وكفاح الشعب الجزائري.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة والإلمام بمختلف جوانب الموضوع اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي الملائم لوصف منطقة أولاد جلال وإعطاء نبذة تاريخية حولها، وتتبع مجريات أحداث ووقائع الانتفاضة الكبرى التي شهدتها، ووضعها في إطارها الزماني والمكاني ومن ثم تحليل مضامينها واستخلاص النتائج.

1. التعريف بمنطقة أولاد جلال

أولاد جلال هي إحدى واحات الزاب (التعليق رقم01) الغربي تقع على بعد حوالي 100 كلم جنوب غرب مدينة بسكرة عاصمة الزيبان (سموم وبن نعمية، 2022، صفحة 811)، وتعد ثاني أكبر تجمع سكاني في منطقة الزاب بأكملها، حيث كانت مدينة أولاد جلال تشكل مركزا حضاريا ودينيا، فزيادة على مساجدها العريقة توجد بها العديد من الزوايا من مختلف الطرق: الشاذلية، القادرية، الرحمانية. وأشهرها الزاوية المختارية الرحمانية الخلوتية . سنأتي على ذكرها بالتفصيل . هذا من جهة، أما من الناحية الاقتصادية فقد تميزت المنطقة بأهم المنتوجات الزراعية الاستراتيجية وهي ثمار التمر وخاصة منه نوعية دقلة نور، وبالثروة الحيوانية (التعليق رقم02) كالإبل الجيدة وسلالة الأغنام الممتازة والتي بلغت في وقتنا الحالي شهرة عالمية وعرفت باسم سلالة أغنام أولاد جلال (حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة، 2009، صفحة 247). وحسب العسكري الفرنسي **Paul Godefroy** فإن النشاط التجاري بأولاد جلال إبان الاحتلال الفرنسي . وكغيرها من مناطق الزاب . يقوم أساسا

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

على تصدير التمور والأغنام والصوف والجلود الخام وغيرها من المنتجات الحيوانية، واستيراد الحبوب والأقمشة والألبسة القطنية والقهوة والتبغ والشموع والزيوت المتنوعة (Godefroy, 1916, p. 142).

ومن الناحية التاريخية المتزامنة مع الفترة الاستعمارية نذكر أنه على الرغم من سقوط مدينة بسكرة على يد الاحتلال الفرنسي سنة 1844م، فإن منطقة أولاد جلال بقيت مستقلة عن النفوذ الاستعماري الفرنسي، هذا الأخير الذي خاض سكان المنطقة ضده معركة كبرى في 10 جانفي 1847م وقعت أحداثها في واحة أولاد جلال، وحافظت المنطقة على استقلالها إلى غاية 1885م أين تم احتلالها، واتخذت السلطات الفرنسية من الحصن القديم المعروف ببرج الدوسن مركزا لتسيير شؤون المنطقة (حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة، 2009، صفحة 248).

وقد كانت أولاد جلال في عهد الاستعمار تابعة إداريا إلى ولاية بسكرة كبلدية ثم في مرحلة لاحقة كدائرة، ثم ارتقت إلى مقاطعة إدارية بموجب المرسوم الرئاسي رقم 15-140 المؤرخ في 27ماي 2015 (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2015، الصفحات 3 -5)، ثم صنفت كولاية مستحدثة طبقا للقانون رقم 19-12 المؤرخ في 11 ديسمبر 2019 وتضم ست بلديات: أولاد جلال، سيدي خالد، البسباس، رأس الميعاد، الدوسن، الشعيبة (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2019، الصفحات 13 -15). لتصبح ولاية كاملة الصلاحيات ضمن التنظيم الإقليمي الجزائري ومنحت الترقيم (51) وفقا للمرسوم الرئاسي رقم 21-117 المؤرخ في 22 مارس 2021 (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2021، الصفحات 7 -8).

2. الزاوية المختارية الرحمانية الخلوتية (الملحق رقم01)

تعتبر من أبرز الزوايا العريقة التابعة للطريقة الرحمانية (التعليق رقم03) المنتشرة في شتى أنحاء الجنوب الشرقي الجزائري، أسسها الشيخ المختار بن عبد الرحمان بن خليفة سنة 1815م في واحة سيدي خالد (التعليق رقم04)، ثم تم تغيير مقر الزاوية ونقلت إلى أولاد جلال المجاورة أين عرفت الزاوية شهرة واسعة في ظرف وجيز وأصبحت قبلة لطلبة العلم الذين قصدوها من كل جهات الوطن، وتمثل برنامجها التعليمي في تحفيظ القرآن الكريم وتلقين الدروس في مختلف العلوم النقلية خاصة منها الشرعية ونشر الطريقة الرحمانية وإطعام وإيواء الفقراء والمساكين والمسافرين وعابري السبيل (سموم وبن نعمية، 2022، صفحة 811).

وحسب ما أورده صلاح مؤيد فإن الزاوية المختارية نالت شهرة واسعة في الوسط العلمي نظرا لتنوع وجودة برنامجها العلمي فقد شمل بالإضافة إلى علمي الفقه والنحو باعتبارهما المادتين الأساسيتين، علوم أخرى ثانوية وهي: التفسير، الحديث، الأصول، البلاغة، العروض، المنطق، الفلك. هذا بالإضافة إلى الشيوخ الذين كانوا يدرسون فيها ممن ذاع صيتهم لتبحرهم في مختلف ضروب المعرفة وأبرزهم الشيخ العابد السماتي (العقبي، 2002، صفحة 389).

وتعد الزاوية الكبرى في مدينة أولاد جلال وتقع في الحي العتيق الذي يشكل النواة الأولى للتوسع الحضري، وسميت بالمختارية نسبة إلى مؤسسها (الشيخ المختار)، وهو أحد تلاميذ الشيخ العالم محمد بن عزوز البرجي

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الذي يرجع له الفضل في وجود الطريقة الرحمانية بمنطقة الزيبان، حيث نجد أغلب تلاميذه قد أسسوا زوايا على الطريقة الرحمانية أمثال علي بن اعمر مؤسس الزاوية العثمانية بطولقة والشيخ عبد الحفيظ الخنقي الذي تنسب إليه زاوية خنقة سيدي ناجي والشيخ الصادق بن الحاج مؤسس زاوية تيفرمسين والشيخ علي بن الجروني مؤسس زاوية سيدي خالد والشيخ مصطفى بن عزوز مؤسس زاوية نفطة بتونس (حرز الله، أولاد جلال أصالة حضارة وتاريخ، 2013، الصفحات 194 -196). وتولى مشيختها العديد من المشايخ من العائلة المختارية وهم:

الشيخ	الفترة
المختار بن عبد الرحمان (مؤسس الزاوية)	1815-1859م
مصطفى بن المختار (الابن الأكبر)	1859-كان حيا في 1882م
محمد الصغير بن المختار	بعد وفاة أخوه الأكبر-1917م
عبد الحميد بن محمد الصغير	1917-1951م
خالد بن عبد الحميد	1951-1985 م
سعد بن عبد الحميد	1985-1990م
عبد الجبار بن عبد القادر	1990-2009م
محمد الأمين بن عبد الجبار	2009-إلى وقتنا الحالي

المصدر: (سموم وبن نعمية، 2022، صفحة 811)

وقد كانت الزاوية المختارية مركزا للإشعاع العلمي والإرشاد الديني تخرج منها ثلة من العلماء والمشايخ الذين كان لهم الفضل في ميلاد زوايا جديدة، أمثال الشيخ محمد بن أبي القاسم (التعليق رقم05) مؤسس زاوية الهامل وأحمد بن عبد الجبار بن رميلة مؤسس زاوية القصيعات. ومن الأعلام الذين درّسوا بالزاوية نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

الشيخ	العلوم المدرسة
العابد سماتي	الفقه، النحو
مصطفى بن قويدر مبروكي	الفقه، الأصول
عمر زواید	علوم القرآن، بعض المتون الفقهية

المصدر: (حرز الله، أولاد جلال أصالة حضارة وتاريخ، 2013، صفحة 197)

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ومن أبرز من تتلمذ ودرس واستقى من نهل العلوم بالزاوية المختارية نذكر: نعيم النعيمي (التعليق رقم 06)، عبد الله بن العابد، محمد بن العابد (التعليق رقم 07)، محمد بن الزبير، الصادق بن ناجي، عاشور زيان، عبد الحميد المريني وغيرهم العشرات من الفقهاء ومعلمي القرآن الكريم، فضلا عن المئات من الحفظة ولا تزال الزاوية تنشط إلى يومنا هذا.

ويذكر الباحث محمد العربي حرز الله أن سكان منطقة أولاد جلال كانوا يقدمون مساهمات وتبرعات للزاوية المختارية لتغطية نفقات نشاطاتها التعليمية والخيرية، حيث قال بهذا الصدد: "**وكان أولاد نائل الغرابة والشراقة على السواء من أتباع الزاوية المختارية حتى إنهم كانوا يدفعون الغفارة لحفدة الشيخ بصفتهم خداما للصرح**" (حرز الله، أولاد جلال أصالة حضارة وتاريخ، 2013، الصفحات 197 -198).

3. ترجمة موجزة للشيخ المختار الجلالي

هو الشيخ العالم الجليل المختار بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن يوسف بن عبد الرحمان بن خليفة (حشلاف، 1929، صفحة 46)، ولد في أول محرم 1200هـ/1785م بقرية سيدي خالد (بن المختار، 1916، صفحة 15)، حظي الشيخ المختار بتنشئة دينية خلقية خالصة، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وأخذ عن جملة من الفقهاء فنبغ في العقائد وعلم الكلام، ثم أخذ عن الشيخ محمد بن عزوز البرجي الطريقة الرحمانية، هذا الأخير الذي أوصاه بملازمة الشيخ علي بن عمر الطولقي بعد وفاته، فأطاعه ولازمه بداية من سنة 1818م ثلاثة عشر سنة، وعُرف بالعلم والورع وبقدرته العالية على كسب القلوب والتأثير في النفوس، وبلغ نفوذه كل مناطق أولاد نايل(التعليق رقم08) والسحاري حيث كانوا يتوافدون على زاويته بأعداد هائلة (القاسمي، 2005، الصفحات 390 -391).

أسس الزاوية الرحمانية المنسوبة إليه في مدينة أولاد جلال، وفي هذا الصدد يذكر نجله محمد الصغير صاحب "**تعطير الأكوان**": "**ومولانا المختار، معمر زاوية بني جلال بصنوف الأذكار وأذكار الجلال، بلدة أحياها بالدروس بعد الدروس، فنالت به شرفا عاليا وشهرة تامة وعظمت في النفوس، لازال محط الرحال، ومقصد الرجال على كل حال، يأخذ بأيديهم فينشلهم من أهوال الأوحال**" (بن المختار، 1916، صفحة 3). عرف عنه الورع والزهد وكثرة الصيام فقد بصره في آخر عمره وتوفي سنة 1276هـ/1859م (حرز الله، أولاد جلال أصالة حضارة وتاريخ، 2013، الصفحات 118 -119)، نالت من أسراره وعلومه فحول الرجال (حشلاف، 1929، الصفحات 46 -47)، وقد رثاه الشيخ محمد المكي بن عزوز البرجي بقصيدة جاء في مطلعها (الحفناوي، 1906، صفحة 565):

فقـــد الهداة من الورى ليل دجا من صدمة الإسلام أصبح مزعجا
لا سيما شيخ جـــليل بـــاذخ بذر الرشاد ومـــنه شاد الأبرجا
كـــالسيد المختار منشور الهدى كـم من رجال في الطـريقة درجا
سعدـــت بتربته بنو جـــلال قد أضحت منارا فـــي البلاد مزبرجا

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أمسى مجاورا خالد بن سنان الـ عبسي نبي الله مفتاح النجا

نعم الجوار اختار لكن ذاته حجبت كشمس بعدها ليل دجا

وتبنى الشيخ المختار فكرة الثورة وحث سكان المنطقة على الجهاد مع قدوم الثائر الشريف بومعزة إلى المنطقة مما أدى إلى اندلاع انتفاضة أولاد جلال الكبرى في 10 جانفي 1847م، كما ساند الشيخ المختار ثورة الزعاطشة وأرسل النجدة إلى الشيخ بوزيان، وشارك في انتفاضة الجلفة 1861م (مفتاح، 2009، صفحة 199) (سموم وبن نعمية، 2022، الصفحات 813 -814)، وبهذا يمكن القول أنّ محاسن أخلاق الشيخ الفاضل المختار بن عبد الرحمان الجلالي تجلت في الجمع بين الزهد والتصوف والدعوة لنشر العلم والجهاد في سبيل الله.

4. مقاومة أولاد جلال الكبرى 10 جانفي 1847م

شهدت منطقة أولاد جلال معركة كبرى وقعت في واحتها بعد ثلاث سنوات من سيطرة الاستعمار الفرنسي على مدينة بسكرة (حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة، 2009، صفحة 248)، ويعود السبب المباشر لاندلاع انتفاضة أولاد جلال إلى مجيء الثائر الوطني الشريف بومعزة إلى المنطقة أواخر سنة 1846م (Guyon, 1852, p. 279)، وهو زعيم ثورة الظهرة القادم من المدية والذي كان مطاردا من قبل قوات الاحتلال الفرنسي حيث أرغم على التوجه نحو الجنوب والتجأ إلى أولاد نايل في واحتي أولاد جلال وسيدي خالد أين لقي الترحاب والتأييد من سكانهما (سموم وبن نعمية، 2022، صفحة 813).

ساندت الزاوية المختارية ممثلة في شيخها وقائدها المختار بن عبد الرحمان الجلالي قضية المقاومة ضد الاحتلال ونسق جهوده مع الشريف بومعزة، وسعى إلى تعبئة أهل المنطقة وحثهم على فريضة الجهاد في سبيل الله والوطن مستعينا بمريديها لتعميم دعوة الجهاد، والذين أبلوا البلاء الحسن في ذلك وكانوا في مقدمة صفوف المجاهدين، وما إن وصل خبر هذا النشاط إلى مسامع السلطات الفرنسية أرسلت هذه الأخيرة قواتها المتمركزة في باتنة بقيادة الجنرال هيربيون **Herbillon** (التعليق رقم 09)، الذي التقت قواته بقوات مجاهدي منطقة أولاد جلال في 10 جانفي 1847م (بكاي، 2014، صفحة 10) (سنوسي، 2014-2013، صفحة 82).

في إطار سرد وقائع هذه الملحمة التاريخية لم يكن أمامنا الخيار إلا اللجوء إلى كتابات الضابط الفرنسي الشهير سيروكا **Seroka**، باعتباره شاهدا على الحدث وأيضا لعدم توفر مصادر جزائرية وطنية تروي مجريات المعركة كما أطال سيروكا في ذلك.

وهو الطرح الذي يتفق معه الباحث محمد العربي حرز الله في كتابه (منطقة الزاب مائة عام من المقاومة) بل وذهب إلى أبعد من ذلك حيث وصم رواية سيروكا دون تحفظ بعبارة "**وشهد شاهد من أهلها**"، وهذا مع الحرص على عدم إغفال بعض التفاصيل التي ربما تعمد الضابط الفرنسي إخفاءها على طبيعة مؤرخي المدرسة الاستعمارية الفرنسية (حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة، 2009، صفحة 255).

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إن معركة أولاد جلال لم تكن وليدة الصدفة أو دون تخطيط مسبق وترصد للعدو وهو ما أورده سيروكا الذي أكد على أنه عندما دخل الجنرال هيربيون الواحة وجد جميع السكان مسلحين ومنتشرين على حوافها وعلى جذوع النخيل، وأن كافة طرق الواحة محصنة، بل وحتى النساء يصرخن ويزغردن لتشجيع المحاربين على القتال (Seroka, 1912, p. 443).

وكان الشريف بومعزة قد انسحب من منطقة أولاد جلال قبل مجيء قوات العدو إلى ناحية وادي تل (التعليق رقم10) مع أولاد زيد وأولاد ساسي وبعض مغامري أولاد نائل (Seroka, 1912, pp. 442 -443)، تمركزت القوات الفرنسية فور وصولها بالقرب من واحة أولاد جلال (التعليق رقم11) على منحدرات منخفضة في الضفة اليمنى لوادي جدي (التعليق رقم12) حيث كانت رؤية منازل الواحة محجوبة بسبب أشجار النخيل التي كانت ملتفة حولها (Guyon, 1852, p. 279) (Seroka, 1912, p. 443)، اللهم إلا مئذنة المسجد العتيق الشاسعة، وعلى عادة الفرنسيين قام الجنرال هيربيون قبل المعركة بإجراء مفاوضات مع أعيان المنطقة دامت خمس ساعات قدم من خلالها عرضا تضمن شروطا تعجيزية وغير منطقية نوجزها فيما يلي (حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة، 2009، صفحة 262):

- التخلي عن المقاومة بدون قيد أو شرط.
- دفع غرامة مالية (مبالغ فيها).
- تسليم الشيخ المختار.

وهذا مقابل: العفو العام وإعطاء الأمان لسكان واحة أولاد جلال.

رفض سكان منطقة أولاد جلال الخضوع لهذه الشروط المجحفة رفضا قاطعا، وأيقن هيربيون أن هؤلاء لن يخضعوا إلا بالقوة. وبدأ الهجوم الفرنسي بتصرف طائش ينم عن جهل الفرنسيين لمعتقدات المسلم الدينية التي تجعله لا يتحمل المساس برموز دينه، حيث أعطيت الأوامر بتوجيه القصف المدفعي إلى مئذنة المسجد، وكان القصد من وراء ذلك إظهار قوة السلاح الفرنسي المدمرة وتخويف السكان وترويعهم، ولكن حدث عكس ما توقعه العدو فقد أدى انتهاك حرمة المسجد إلى زيادة حماس المقاتلين واستماتتهم في القتال ولم يبق متردد واحد عن الجهاد وانضم الجميع للمعركة دون استثناء (حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة، 2009، صفحة 263). حيث استمرت المعركة يوما كاملا وانتهت بتفوق القوات الفرنسية التي تكبدت خسائر فادحة تمثلت فيما يلي:

- 30 قتيلا من بينهم الرائد بيلان **Billon** (Courrier du Midi, 1847, p. 03).
- 110 جريح.
- 24 أسيرا من الجنود الفرنسيين (Seroka, 1912, p. 444).

بينما نجد الطبيب الفرنسي **Guyon** يؤكد على أن هذه المواجهة كلفت الجيش الفرنسي ما يلي:

- 35 قتيلا.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- ما يفوق 80 جريحا (Guyon, 1852, p. 280)

وهذا التناقض في التصريحات يدل على وجود تعتيم وطمس للحقائق أو بالأحرى تزوير لنتائج المعركة قصد التقليل من شأن مقاومة سكان المنطقة وبطولاتهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى تمجيد فرنسا ونشر الخرافات والأكاذيب، التي تدعي أن الجيش الفرنسي لا يهزم.

وفي المقابل: كانت حصيلة ما تعرض له مجاهدو منطقة أولاد جلال كالتالي:

- 62 شهيدا.
- 90 جريحا مات بعضهم بعد مدة (Seroka, 1912, p. 444).

وبعد هذه المعركة حامية الوطيس والتي أنهكت الطرفين، طلب أهالي منطقة أولاد جلال الأمان وتم توقيع اتفاقية بين الجنرال هيربيون وممثلي المقاومة، تضمنت الشروط التالية (Herbillon, 1928, p. 98):

- تسليم جثث القتلى الفرنسيين الذين سقطوا في الواحة.
- إعادة أسلحة ومعدات القتلى كلها دون نقص.
- إطلاق سراح الأسرى الأربعة والعشرون دون قيد أو شرط.
- دفع غرامة مالية بقيمة 50000 فرنك (مبلغ باهظ في ذلك الوقت).

وهذا مقابل (حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من المقاومة، 2009، صفحة 268):

- انسحاب القوات الفرنسية من منطقة أولاد جلال.
- العفو عن الشيخ المختار بن عبد الرحمان (الذي كان مطلبا أساسيا قبل اندلاع المعركة)
- إعطاء الأمان لباقي المقاومين ولمن ساعدهم من السكان بعدم متابعتهم.

بعد الإحاطة بحيثيات انتفاضة أولاد جلال ومع الأخذ بعين الاعتبار عدم تكافؤ قوى الطرفين من حيث العدد والعتاد وكذا حصيلة المعركة وشروط الاتفاقية المبرمة، يتضح جليا أن أهالي منطقة أولاد جلال قد أبلوا البلاء الجيد وأظهروا أن لهم من القوة والبأس ما يرهب العدو وأنهم مستعدين للتضحية بأرواحهم فداء للدين والوطن.

ويرى شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله الذي أن مقاومة أولاد جلال وغيرها من المقاومات الشعبية التي قادها نخبة من رجال الدين وشيوخ الطرق الصوفية في منطقة الزيبان وما جاورها مثل: الأغواط، مسعد، بوسعادة. خلال الأربعينات هي امتداد للمقاومات الشعبية الجزائرية التي قادها الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي (سعد الله، 1992، صفحة 331).

خاتمة

بعد دراسة موضوع البحث الموسوم بـ: "**دور الزاوية المختارية الرحمانية في المقاومة الشعبية بمنطقة أولاد جلال**" نستخلص أن سكان منطقة أولاد جلال وضواحيها لم يتوانوا في نصرة الثائر الوطني الشريف بومعزة، وساهموا بكل مالهم من قوة في قضية المقاومة والدفاع عن منطقتهم وسائر تراب الوطن، وهذا بإيعاز من شيخ

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الزاوية المختارية الجلالية الرحمانية، والذي خطب للجهاد واستنهض همم سكان المنطقة. فقامت انتفاضة أولاد جلال والتي مثلت رمزا للمقاومة الشعبية الجزائرية والصمود في وجه المستعمر الغاصب وكانت خير مثال عن الوحدة واللحمة الوطنية بين أبناء الجزائر والتكافل والتآزر بين المسلمين.

التعليقات والشروحات

1- **الزاب:** هو المنطقة المحصورة ما بين سلسلة جبال الأوراس شمالا ووادي جدي وشط ملغيغ جنوبا، وتحدها هضبة أولاد جلال غربا أما شرقا فيحدها واد العرب وخنقة سيدي ناجي، وتمتد على مسافة حوالي 200 كلم من الشرق إلى الغرب وما بين 40 و70 كلم من الشمال إلى الجنوب. وهي عبارة عن سهل منبسط يتلاشى شيئا فشيئا في الجنوب، وينقسم إلى ثلاث أقسام متصلة متقاربة هي: الزاب الظهراوي بين تلال الزاب ووادي جدي، الزاب القبلي يفصله عن الظهراوي شريط من الأراضي الرملية والسبخات، الزاب الشرقي بين سفوح جبال الأوراس وشط ملغيغ. فهو بهذا يعتبر البوابة الشرقية للصحراء الجزائرية (بن بوزيد، 2017، صفحة 93) (شلوق، 2007-2008، صفحة 25).

2- ويذكر أحمد توفيق المدني في مقام وصفه لواحة أولاد جلال في الربع الأول من القرن العشرين، بأنها من أشهر واحات الجنوب الشرقي الجزائري، بها حوالي خمسون ألف من شجر النخيل، ويقام بها كل يوم خميس سوق يعد من أكبر أسواق الحبوب والمواشي في الجنوب، ويشتهر سكان هذه المنطقة بصناعة الأنسجة الصوفية (المدني، 1931، صفحة 195).

3- **الطريقة الرحمانية:** تنسب إلى الشيخ امحمد بن عبد الرحمان القشطولي، ولد في آيت إسماعيل في جبال جرجرة والمعروف ببو قبرين دفين منطقة سيدي امحمد بالحامة في الجزائر العاصمة، هاجر إلى المشرق ودرس في الجامع الأزهر الشريف في مصر وأخذ الطريقة الخلوتية عن الشيخ محمد بن سالم الحفناوي المصري، توفي سنة 1792م وقد عرفت هذه الطريقة انتشارا واسعا في منطقة الزاب وما جاورها وبلغت أوجها خلال القرن الثامن عشر ميلادي (الصيد، 2004، صفحة 106).

4- **واحة سيدي خالد:** من واحات الجنوب الشرقي الجزائري، تبعد عن أولاد جلال بسبعة كيلومترات وبها حوالي خمسة وعشرون ألف من شجر النخيل (المدني، 1931، صفحة 195).

5- **محمد بن أبي القاسم:** هو العالم الفقيه محمد بن أبي القاسم الهاملي بن ربيح بن محمد، ينتهي نسبه إلى النسب الشريف، ولد بالقرب من بلدة حاسي بحبح سنة 1824م حفظ القرآن الكريم بقرية الهامل، ثم بدأت رحلته في طلب العلم بانتقاله سنة 1837م إلى زاوية علي الطيار بمنطقة البيبان وبعد ذلك انتقل سنة 1844م إلى زاوية سيدي السعيد بن أبي داود بالقرب من أقبو، ثم عاد إلى الهامل سنة 1850م ليشرف على تدريس الفقه بمسجدها، وبعد ذلك أصبح يتردد على الزاوية المختارية ولازم شيخها المختار إلى غاية وفاته، وتولى تسيير شؤون زاوية أولاد جلال وتنظيم أمورها سنة كاملة بعد وفاة مؤسسها لصغر سن أبناء الشيخ المختار، ثم عاد إلى بلدة الهامل وأسس الزاوية القاسمية، وأصبح من أبرز رجالات العلم والتصوف بالجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي (القاسمي، 2005، الصفحات 284 -285).

6- **نعيم النعيمي:** الشيخ الجليل، العالم الفقيه والمصلح المربي نعيم النعيمي بن أحمد بن علي بن صالح، ولد سنة 1909م بمدينة سيدي خالد غرب ولاية بسكرة، ينتمي إلى عرش أولاد حركات، نشأ على التربية الدينية والخلقية ودرس بالزاوية المختارية بأولاد جلال، فحفظ القرآن الكريم ثم مختلف متون اللغة العربية وتعمق في علوم: الفقه المالكي والتفسير والأصول والبلاغة والعروض و المنطق، وهو من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، وشارك في الثورة التحريرية (المجلس الأعلى للغة العربية، د.ت، الصفحات 742 -743).

7- **محمد بن العابد:** المعلم المصلح، المرشد المربي محمد بن العابد السماتي الجلالي ولد بمدينة أولاد جلال عام 1890م، نشأ في بيئة عائلية علمية دينية، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية والفقه على يد والده، ثم انتقل إلى قسنطينة وواظب على حضور حلق الشيخ عبد الحميد بن باديس، ثم اشتغل معلما في مدارس التربية والتعليم الإسلامية الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في كل من قسنطينة وبسكرة وعين مليلة (كرام، 2022، صفحة 135)، كانت له مساهمات عديدة في جريدتي "**المنتقد**" و"**الشهاب**" بمقالات دينية تربوية إصلاحية، أسس جريدة "**أبو العجائب**" (منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، د.ت، صفحة 141)، ومنذ اندلاع الثورة التحريرية كان من أوائل العلماء الذين حملوا السلاح في وجه العدو الفرنسي واستمر في الجهاد إلى

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

غاية اعتقاله (كشيدة، 2003، الصفحات 131 –132)، حيث حكم عليه بالسجن عشر سنوات قضاها في سجن الكدية بقسنطينة والبرواقية، وبعد الاستقلال عاد إلى التعليم بعين مليلة ثم عاد إلى مسقط رأسه وتوفي في 12 فيفري 1967م (منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، د.ت، صفحة 141).

7- **أولاد نايل:** نسبة إلى جدهم الأكبر سيدي نايل وهو محمد بن عبد الله الخرشفي بن أحمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن عمر بن محمد بن علي بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن عيسى بن سالم بن مروان بن حيدرة بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمد الباقي بن علي زين العابدين بن محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وفاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ (الديسي البوسعادي، 2014، صفحة 27)؛ (هاني، 2024، صفحة 32).

9- **هربيون:** عسكري فرنسي ولد في 23 مارس 1794م في **Châlons-sur-Marne** بفرنسا، دخل الجزائر ضمن الجيش الفرنسي عام 1837م برتبة قائد كتيبة، ليتقلد فيما بعد رتبة عقيد سنة 1842م، وفي الفترة ما بين 1847-1850م تولى قيادة مقاطعة قسنطينة، ثم تمت ترقيته إلى رتبة مارشال سنة 1858م، توفي سنة 1866م (Jeanne & Brochier, 1937, p. 166).

10- **وادي تل:** منطقة جبلية وعرة تقع في الحدود الجنوبية الغربية لمنطقة أولاد جلال مع ولاية الجلفة.

11- تقع واحة أولاد جلال على الضفة اليسرى لوادي جدي.

12- وادي **جدي:** يعتبر أكبر الأودية الداخلية في الجزائر يخرج من جبال بني راشد (عمور) ويمر بكل من الأغواط وعين ماضي وسيدي خالد وأولاد جلال، ويستمر ليصب في شط ملغيغ (المدني، 1931، صفحة 172).

ملاحق

الملحق رقم01: مدخل الزاوية المختارية

المصدر: من تصوير الباحث

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

قائمة المصادر والمراجع:

أبو القاسم سعد الله. (1992). **الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900** (الإصدار 1، المجلد 1). لبنان: دار الغرب الإسلامي.

أبي القاسم محمد الحفناوي. (1906). **تعريف الخلف برجال السلف** (المجلد 2). الجزائر: مطبعة بيير فونتانة الشرقية.

أحمد توفيق المدني. (1931). **كتاب الجزائر**. المطبعة العربية.

الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. (2015). (29)، 3 - 5.

الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. (2019). (78)، 13 -16.

الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. (2021). (22)، 7 -8.

الجموعي هاني. (2024). **الشجرات الباسقات في أنساب أولاد حركات** (الإصدار 1). الجزائر: دار علي بن زيد.

المجلس الأعلى للغة العربية. (د.ت). **الموسوعة الجزائرية: الأعلام** (المجلد 2). الجزائر: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع.

سليم كرام. (2022). **قبس من سير أعلام الثقافة والفكر والنضال بالزيبان** (الإصدار 1). الجزائر: مطبعة جامعة محمد خيضر بسكرة.

سليمان الصيد. (ديسمبر, 2004). **زوايا العلم والقرآن ودورها في تحصين الأجيال والمحافظة على الشخصية الوطنية. المجلة الخلدونية**(03).

صلاح مؤيد العقبي. (2002). **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر**. لبنان: دار البراق.

عبد الباقي مفتاح. (2009). **أضواء على الطريقة الرحمانية الخلوتية** (الإصدار 1). لبنان: دار الكتب العلمية.

عبد الله بن محمد حشلاف. (1929). **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**. تونس: المطبعة التونسية.

عبد المنعم القاسمي. (2005). **أعلام التصوف في الجزائر** (الإصدار 1). الجزائر: دار الخليل القاسمي.

عيسى كشيدة. (2003). **مهندسو الثورة**. (موسى أشرشور، المترجمون) الجزائر: منشورات الشهاب.

فتيحة شلوق. (2007-2008). **العمارة الدينية بمنطقة الزاب** (رسالة ماجستير). الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة.

لخضر بن بوزيد. (ديسمبر, 2017). **السياسة الإستعمارية تجاه القبائل والعائلات المتنفذة في منطقة الزيبان(1844-1830)**. المجلة التاريخية الجزائرية(05)، الصفحات 92 -105.

لطيفة سموم، وعبد المجيد بن نعمية. (جانفي, 2022). **محمد الصغير بن المختار الجلالي (1268 - 1336هـ/1852-1917م) وكتابه تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان**. مجلة الإحياء، 22(30)، الصفحات 809 -824.

محمد الصغير بن المختار. (1916). **تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان**. الجزائر: المطبعة الثعالبية.

محمد العربي حرز الله. (2009). **منطقة الزاب مائة عام من المقاومة** (الإصدار 2). الجزائر: دار الواحة للكتاب.

محمد العربي حرز الله. (2013). **أولاد جلال أصالة حضارة وتاريخ**. الجزائر: شمس الزيبان للنشر والتوزيع.

محمد بن عبد الرحمان الديسي البوسعادي. (2014). **تحفة الأفاضل في ترجمة سيدي نائل**. الجزائر: دار كردادة.

منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. (د.ت). **كتاب الأناشيد الوطنية**. الجزائر: مطبعة هومه.

نائبي سنوسي. (2013-2014). **مساهمة قبائل أولاد نايل في المقاومات الشعبية من خلال المصادر الفرنسية 1836-1890**(رسالة ماجستير). الجزائر، جامعة الجزائر2.

هوارية بكاي. (جوان, 2014). **دور الطريقة الرحمانية في المقاومة الشعبية بالجنوب الشرقي الجزائري**. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 05(01)، الصفحات 8 -15.

Courrier du Midi. (1847, Janvier 26). Nouvelles du Midi. (11).

Godefroy, P. (1916). **Programme des chemins de fer dans les territoires du Sud : situatio, Avenir et perspectives economiques de ces territoires**. alger: Typographie Adolphe jourdan.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

Guyon. (1852). Voyage d'Alger aux Ziban en 1847. Alger: imprimerie du Gouvernement.

Herbillon, E. (1928). **Quelques Pages d'un Vieux Cahier : Souvenirs Du Général Herbillon (1794-1866)**. Paris: Berger Levrault Editeurs.

Jeanne, & Brochier, A. (1937). **Livre d'Or de l'Algérie : Dictionnaire des personnalités passées et contemporaines 1937**. Alger: Baconnier frères.

Seroka, J. (1912). **Le Sud Constantinois De 1830 à 1855**. Revue Africaine, 56, pp. 378 -446.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)